

مظاهر العمران في عهد المغول الإيلخانيين (683-703هـ / 1284-1304م) (دراسة تاريخية)

سعاد هادي حسن الطائي*

ملخص

على الرغم من ما شهده تاريخ المغول من عنف في بداية ظهورهم على الساحة السياسية، وبسبب انشغالهم بحملاتهم العسكرية، وبناء نواة إمبراطوريتهم المترامية الأطراف، فلم تغب عنهم مفردات الحضارة والبناء والعمران وهذا الأمر لم يأت بين ليلة وضحاها بل نتج عن اختلاطهم بالشعوب المتحضرة والمتنقة التي خضعت تحت سلطتهم، وفي الحقيقة أرى أن المغول هم من خضعوا لهذه الشعوب، فإن دمجوا معهم وأسهموا في وضع أسس قيمة لبناء حضارة جديدة متنوعة في مؤسساتها الإدارية والسياسية، إذ أسهم خليط من العناصر الكفوءة في وضع لمسات حضارية وإدارية في كل جزء من أجزاء دولتهم. اهتم الإيلخانات المغول بفنون العمارة والبناء، ويعد الإيلخان أرغون (683 - 690هـ / 1284-1291م) وغازان (694 - 703هـ / 1295 - 1304م) في مقدمتهم، فضلاً عن بناء القصور والساحات والمصايف، والاضرحة والمدارس والمستشفيات والمساجد والأسواق، وغيرها.

الكلمات الدالة: أرغون، غازان، شنب غازان، أوقاف، النهر الغازاني.

المقدمة

اهتم الإيلخانات المغول بالبناء والعمران منذ أن اختلطوا مع الشعوب المتحضرة، فخضعوا لحضارتهم وثقافتهم التي تنوعت بجوانبها كافة.

وعلى الرغم من أن بعض الإيلخانات لم يعتنقوا الإسلام غير أنهم اهتموا بالبناء والعمران، واستعانوا بذوي الخبرة من المهندسين والبنائين من مختلف أنحاء العالم لتنفيذها على أرض الواقع، ومن المؤكد أن ما تنعم به المغول الإيلخانيين من ترف وأموال وخيرات لا تعد ولا تحصى أسهم بشكل كبير في استثمارها لهذا الغرض، فضلاً عن تشجيع عدد من الوزراء والمقربين منهم لمواكبة من سبقهم من أصحاب السلطة ومن عاصرهم وجاورهم في ذلك الوقت.

فالإيلخان أرغون (683 - 690هـ / 1284-1291م) بنى مدينة أطلق عليها اسمه، فضلاً عن معالم عمرانية أخرى، وحذا حذوه الإيلخان غازان (694 - 703هـ / 1295 - 1304م) الذي سارع ببناء مدينة مصغرة أطلق عليها شنب غازان، وتقن في بناء مقبرة له وأوقف لها أوقفاً جمة لتخلد ذكره، فضلاً عن اهتمامه بأعمار مدن أخرى وتوفير الخدمات اللازمة لها.

حدد الإيلخان غازان أهم شروط الأوقاف التي أوقفها على مقبرته مراعيًا طبقات المجتمع جميعها، وفي المناسبات كافة لتحقيق العدالة فيما بينهم قدر المستطاع، وأكد على الالتزام بها وتنفيذها بدقة وعدم التهاون في إهمالها.

أصدر الإيلخان غازان أوامره بكتابة سبع نسخ من وقفيتها ووزعها في أماكن عدة واحدة منها أمر بحفها في الكعبة المشرفة ليضفي عليها أهمية وقدسية وشرعية ومكانة مهمة لدى المسلمين جميعهم وفي جميع بقاع الأرض، والحيلولة دون ضياعها أو تلفها.

اهتمام الإيلخان أرغون بالبناء والإعمار:

أولى الإيلخانات المغول في بلاد فارس اهتماماً كبيراً ببناء عواصم ومدن لهم لتكون مركزاً لهم ولتخليد أسمائهم، فكان لا بد لهم من مواكبة الدول والشعوب المتحضرة والمعاصرة لهم.

ويعد الإيلخان أرغون في مقدمتهم فأمر ببناء قصرين عاليين في الجانب الغربي من تبريز في نواحي شنب التي أطلق عليها

*قسم التاريخ، كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية، جامعة بغداد، العراق. تاريخ استلام البحث 2019/2/11، وتاريخ قبوله 2019/7/17.

اسم شام، ثم شيد مدينة بين القصرين، وأقام في داخلها صفتين عاليتين شبيهتين بآبوان كسرى، وبنى السقوف المقرنة والشرف المقوسة والعمارات الجميلة المنقوشة الجذابة، أطلق عليها الأرغونية، وأصبحت مقر حكمه، (الهمذاني، د.ت) وشيد جوسقاً عالياً في مصيف "لار" في سفح جبل دوماند أطلق عليه اسم جوسق أرغون، وأقام في عدد من المواضع القصور الضخمة والساحات المنيعة، (الهمذاني، د.ت)

اهتمام الإيلخان غازان بالبناء والعمران:

لم يتوقف الاهتمام بالبناء والعمران على الإيلخان أرغون فحسب بل نجد أن الإيلخان غازان اهتم هو الآخر به، بل إن اعتناقه للإسلام جعله عاشقاً له أكثر من ذي قبل، واستوحى هندسة العمران الإسلامي في بناء القصور والمساجد والاضرحة. وعن اهتمام غازان بالبناء والعمران ذكر " لكن سلطان الإسلام أقر نظاماً بشأن البناء والعمران لم يكن من الممكن أن يوجد أحسن منه، وحيثما يوجد سيد يوثق به أو معاون يتصف بالشرف واختاره وعينه للإشراف على كل عمارة، وحول إليه الأموال المطلوبة. كما نصب السادة المشهورين والكتاب المخلصين والمهندسين المعماريين، فاستخدموا جميع الآلات بأسعار معقولة وأجور مناسبة، وذلك في نظير استعمال القدر المطلوب منها؛ إذ أنهم إذا قصروا في التنفيذ فإن نقصان الضرر يعودان عليهم. وكان المشرفون يحصون الآلات والمواد المستخدمة في البناء. وبناء على هذا يحاسبون كل متعهد كلف بهذا العمل وهكذا سارت العملية بمنتهى الدقة؛ بحيث إنهم لو أرادوا حتى بعد مائة سنة أخرى أن يراجعوا المبالغ والنقبات والاعتمادات المالية على حساب الكتاب والآلات التي استخدمت لاتضح على الفور الحق من الباطل وقطعاً لن تكون هناك زيادة أو نقصان في تلك الحسابات. ولن يوجد مجال لأي نماء للطعن في أعمال هؤلاء السادة والمهندسين. ولتنفيذ كل مشروع نصب مشرفين أمناء حتى لا يجيزوا استخدام آلات غير صالحة، أو ينقص العمال شيئاً من الجص والأسمنت ويخطوهم بالرماد. وهذا التدقيق والاحتياط إنما يكون في دائرة اختصاصهم وضمن عهدتهم. وهناك مسألة أخرى هي أن كل المعدات من الخشب والحديد، سلمت للمقاول بثمن محدد. كما قررت جملة أنواعها والمطلوب استعماله منها". (الهمذاني، 2000)

أكد هذا الأمر اهتمام الإيلخانات بمنع حالات الغش والتدليس في مواد البناء واختيار الأشخاص النقاة من المهندسين والمقاولين والبنائين وتوفير العدة الخاصة بالبناء.

وأمر بتشديد العمارات في كل مدينة وولاية، وشق الأنهار والقنوات، ومن جملتها وأعظمها نهر أجراه السلطان في الحلة وأطلق عليه اسم "النهر الغازاني الأعلى" وأوصله إلى المشهد المقدس لأمير المؤمنين الحسين "عليه السلام"، وأجرى عذب الفرات إلى كل صحارى سهل كربلاء التي كانت قاحلة، ولم يكن في المشهد ماء عذب للشرب، وتستطيع السفن القادمة من بغداد والمدن الأخرى الواقعة على ضفاف الفرات ودجلة الإبحار إلى المشهد، ونتيجة لهذا أصبحت كل المناطق حول المشهد مزروعة، فضلاً عن الحدائق والبساتين، المزروعة بالحبوب وأنواع الخضر. (الهمذاني، 2000)

وأمر بحفر نهر أطلق عليه اسم النهر الغازاني الأسفل، فعندما خرج في رحلة الصيد ورأى مساحات صحراوية شاسعة قليلة الماء، إذ لم يجد مرافقه ماء للدواب، فهزلت، فأمر بحفر نهر من الفرات لتوفير المياه وزراعة الأرض، وأجرى من الجانب الغربي نهراً آخر على حدود تلك الصحراء، سماه أيضاً "النهر الغازاني"، وأوقف من الماء والأرض عدة أراضي، واشترى ما تبقى من كل المواضع التي عمرها، واستغلها لنفسه، ثم أوقفها كلها على أبواب البر التي بناها في تبريز، وأمر بإقامة سور حوله، فضلاً عن إنشاء الحمامات. (الهمذاني، 2000)

وتعد مبادرة الإيلخان غازان بحفر هذه الأنهار مهمة جداً في تاريخ المغول، إذ أسهم بشكل كبير في توسيع المناطق الزراعية واستصلاح الأراضي، وتشغيل الأيدي العاملة، وأسهم في يهولة حركة السفن الصغيرة ونشاط التجارة بين المدن، مع وقف مساحات شاسعة من الأراضي والتي اشتراها لأعمال البر والخير.

ولأدراكه بأهمية تحصين المدن وحمايتها أمر بتشديد أسوار حول المدن ولاسيما المدن المهمة وأتي تتعرض لإخطار بشكل مستمر.

فأمر ببناء أسوار حول مدينة تبريز وشيراز، وبلغ طول سور تبريز 54000 قدم أي تقريباً أربعة فراسخ ونصف، وعرضه 10 كز، أو من ونصف، وله خمس بوابات كبار وثمان صغار، وعمر قلعة تبريز سنة 702هـ/1302م. (إقبال، 1990، الأمين، 1993)

وخطبهم ان غازان قائلاً: "كيف يجوز أن مدينة يسكنها الآلاف العديدة من الناس، وهي في الوقت نفسه دار الملك، ولا يبني

لها سور! وعلى الفور أشار باتخاذ الإجراءات حتى يمكن تحديد المكان والكيفية التي يبني بها السور، ولما كانت الحقائق والبساتين تتصل بالمدينة، كان من الضروري أن يقع بناء السور بين أملاك الناس المعمورة. وهنا عرض مستشارو السلطان قائلين: إذ إن السكان في تبريز من الغرباء والمقيمين الذين لا حصر لهم، وأكثرهم من الأثرياء، يقسم السور إلى أقسام حتى تتكفل كل طائفة بإقامة قسم منه على نفقتها في مدة سنتين أو ثلاث سنوات، فقال سلطان الإسلام خلد ملكه مدفوعاً بهمة العالية وكمال رحمته وشفقته: كيف يليق أن تخرب أكثر عمارات الناس، ويصيبهم الضرر، ومع هذا نجبرهم على إنجاز عمل خير نشير به! ثم إنهم لم يكونوا يظنون أنه في الوقت الذي كانوا يشيدون فيه مدينة تبريز قد آل امرها إلى حد أن آلاف عديدة من المنازل قد شيبت خارج السور. وفي هذه المدة الوجيزة لوحظ أن جميع الناس قد ازدادوا كثيراً، فأقاموا هذه العمارات خارج المدينة، وسوف يصيرون كثرة هائلة، فينبغي أن نبذل همة عالية، ونقيم هذا السور؛ إذ تقع كل حقائق الناس وبيوتهم داخل نطاق المدينة؛ حتى لا يضطروا إلى تخريب الحقائق وحتى ترتفع أمانها كلها فيحصل لنا الأجر والثوبة، ويمكن كذلك بيمن التوفيق الإلهي أن يزداد عدد السكان بمرور الزمن بحيث يؤول الأمر إلى أن بينوا بيوتاً في المنطقة التي يحيط بها السور بأكمله فيتصل بعضها ببعض، ولا يضيق المكان على الناس؛ إذ إنه من المجرب أن بعض المدن التي ينعم الله عليها بثروة طائلة، يضيق الموقع بالناس بسبب كثرتهم، فيجعلون عماراتهم مكونة من طابقين أو ثلاثة طوابق، وتضيق الأزقة، وترتفع الجدران، ويفسد الهواء، ولهذا السبب يظهر الوباء، وتنتشر الأمراض المتنوعة، فتخرب المدن مرة أخرى مثل مدينة خوارزم، ووفق هذا الترتيب أمر السلطان بتشديد السور خارج الحقائق" (الهمذاني، 2000).

واهتم الإيلخان غازان بتوسيع المدن وأخذ بنظر الاعتبار زيادة عدد السكان، وتوسيع عملية البناء، وللحيلولة دون حدوث الازدحام في الطرقات والأزقة مما يسهم في احتمالية حدوث التلوث وانتشار الأمراض.

وعندما عرض عليه مستشاروه بضرورة دفع الأموال من السكان، أجابه غازان قائلاً: "رغم أن فائدة بناء السور تعود عليهم أنفسهم؛ لكن الرعايا والعوام يكونون قصيري النظر، ولا يستطيعون إدراك عواقب الأمور، ومآل الأحوال. وعلى أي حال فإنه من العسير عليهم تسديد النفقات. وهذا عمل خيري، فلندع نحن النفقات من أموالنا الخاصة، ولنشيد السور حتى يبقى الثواب وحسن الذكر ذخيرة لنا، ويستريح الخلق والرعايا، ولا يحنك بهم أحد بسبب هذه المطالبة. ثم أصدر أمره بتنفيذ هذا القرار. وقد أمضوا عامين منذ البدء في بناء هذا السور" (الهمذاني، 2000).

ونلاحظ هنا مدى اهتمام الإيلخان بالصالح العام من خلال توفير الخدمات لهم دون أن يتقرب كاهلهم، وأن هذا الأمر من مهامه وواجباته حيالهم.

ولم يكتف الإيلخان بذلك بل أمر بتعمير عدد من المدن التي تعرضت للتخريب سنة 798هـ/1395م وفي مقدمتها مدينة أوجان، واختط فيها أسواقاً وحمامات جديدة، وبنى خانقاه كبيرة في همدان على حدود سفيد كوه في قرية بوزينجر، وأوقف عليها أوقافاً كثيرة؛ وشعر المغادرون لتلك الخانقاه أو القادمون إليها براحة تامة. (الهمذاني، 2000)

وان اهتمام الإيلخان ببناء الخانقاهات يشير إلى إدراكه بأهميتها العلمية والاجتماعية، فهي محطة مهمة للمسافرين والرحل والمتصوفة وداراً مؤقتاً لهم.

الاهتمام بطرق الحج والحجاج:

حرص الإيلخان غازان على جذب عدد كبير من المغول للدين الإسلامي وتطلع هو وبقية الإيلخانات إلى تقديم الخدمة لبلاد الحرمين الشريفين تعبيراً عن صدق انتمائه للإسلام من أجل إرضاء المسلمين ولتغيير صورة المغول السابقة، لهذا كانت لهم إسهامات خيرية واضحة في بلاد الحرمين الشريفين والتي تمثلت في تقديم الهبات والهدايا لأشراف الحرمين وسكانهما والمجاورين فيهما، وإقامة عدد من المشاريع الخيرية والإصلاحية في مكة والمدينة والمشاعر المقدسة والطرق المؤدية إليهما (السنيدي، 2014).

إذ ازدادت أعداد القاطنين في مكة والمدينة والقادمين إليهما من بلاد مختلفة خلال القرنين 8 و9 الهجريين، 14 و15 للميلاد، فأضحت الحاجة ملحة لتقديم مزيد من الخدمات والأعمال الخيرية لتلبية حاجات السكان المستقرين أو الوافدين للحج أو العمرة والزيارة، وقد انبرى حكام الدولة المغولية الإيلخانية وفي مقدمتهم غازان للقيام بدور فاعل ومساند لما قام به المماليك واتباعهم كم دهود مشهودة في هذا الجانب، وقد تمثلت في إقامة المرافق الخدمية والعناية بها، ودعم الحركة العلمية وتشجيعها وتقديم الهدايا والصدقات المختلفة وغيرها (السنيدي، 2014)

وأولى الإيلخان غازان عناية كبيرة في إقامة المرافق الجديدة واهتم بالقائم بصيانتها وترميمها، ومن أهم هذه المرافق المساجد والربط والمنشآت المائية والبيمارستانات والطرق (السنيدي، 2014)

واهتم الإيلخان غازان بطرق الحج وتوفير الأمان لها ليتمكن الحجاج من تأدية مناسك الحج بشكل صحيح. إذ خصص اعتمادات كبيرة لشؤون الحج إلى مكة، وأصدر مرسوماً سنة 699هـ/1300م فرض فيه لائحة وأهل البيت وخدام الكعبة حقوقهم، وعين أحد الأمراء قائداً عاماً لقوافل الحج، وسير عدداً من الحرس معهم بلغ عددهم ألف فارس للمحافظة على سلامة الحجاج، فضلاً عن إرساله كساء الكعبة، وخصص لمشايخ العرب في مكة والمدينة مبلغ اثني عشر تومانا من الذهب (الخالدي، 1982).

واهتم بالطرق ووفر الأمان لها بعد أن كانت تتعرض للسلب والنهب من اللصوص وقطاع الطرق فكانت أموال المسافرين -من الحجاج وغيرهم- والتجار تتعرض للسرقة، كما كان عدد من ادلة الطريق يتفقون مع اللصوص لأستحصال مبلغ من كل قافلة بدعوى رسم الطريق، فأمن الإيلخان غازان الطرق واعتقل قطاعها وعاقبهم وعين حراساً أمناء في المنازل المعرضة للخطر، وأمر بإقامة أعمدة من الحجارة أو الجص على الطرق ويوضع على كل عمود لوح مثبت تثنياً محكماً ويسجل فيه عدد الحراس المكلفين بحراسة ذلك الموضع (الهمذاني، 2000، إقبال، 2000).

وأصدر الإيلخان غازان أوامره بمرابطة الحراس على الطرق في جميع أنحاء البلاد وأن يؤخذ نصف درهم من القافلة عن كل أربعة من الحمير المحملة وعن كل جملين نصف درهم أيضاً، وعهد بالاشراف على جميع حراس الطرق إلى الأمير بور الغي (الهمذاني، 2000).

الاهتمام ببناء المساجد والحمامات والربط:

اهتم غازان ببناء المساجد إذ حول عدداً من الكنائس والمعابد البوذية إلى مساجد سواء في المدن أو القرى (لخالدي، 1982). ومن أهم المساجد التي بناها عدد من أتباع المغول هو المسجد الذي بناه الحسين بن أحمد بن محمد الكيلاني المعروف بابن قاذان في المدينة، وكذلك المسجد الذي بناه أحمد بن علي البصري الشهير بالكواز وكان ممن سكن مكة واتجر بها فضلاً عن قيامه بأعمال بر كثيرة منها تنظيف المسجد الحرام عندما دخله السيل جالبا معه الطين حيث أمر برفعه وفرش أرضية المسجد الحرام بالبطحاء من ماله الخاص (السنيدي، 2014).

واعطى أهمية كبيرة لبناء الحمامات لاسيما بعد ان وصلته الاخبار بعدم وجودها بشكل كافي في المساجد، وان المصلين لا يستطيعون تأدية احكام الوضوء بشكل سليم لعدم وجود ما يكفي منها، وقد نفذ أمره هذا خلال سنتين، وأمر بإقامة مسجد وحمام في كل قرية من قرى الممالك، وتوفير كل ما تحتاجه من فرش وانارة وتعمير واجور للخدم (الهمذاني، 2000، الخالدي، 1982) وأما الربط فقد اهتم المغول ببناء عدد كبير منها في مكة والمدينة وكان لها أثر واضح في تقديم خدمات متعددة للمجتمع، منها الرباط الذي أنشأه بمكة إبراهيم بن محمد الأصبهاني الملقب بالعز (ت756هـ/1355م) وهو أحد التجار المعروفين، وأما موقع الرباط فكان في زقاق الحجر في الجهة الشمالية من المسجد الحرام وقد وقفه للفقراء والمساكين والمجاورين من أهل الخير (السنيدي، 2014).

بناء مدينة شنب غازان:

استمر الإيلخان غازان بالبناء والعمران في عموم المدن التابعة لإيلخانية المغول وفقاً لخطة في أن تصبح دولته الأجل والأكثر تحضراً من غيرها، ولتخليد ذكراه واتساع شعبيته وانفاق الأموال في وجهها الصحيح.

اراد غازان بعد اعتناقه الإسلام أن يتشبه بالملوك المسلمين فبنى مقبرة له في حياته وخصص لها الأوقاف لتكون باب رزق للزهاد وأهل التقوى وليذكروه بالخير بعد وفاته، فأنشأ قبة تعد من عجائب العمارة الإسلامية بموضع في تبريز سمي فيما بعد " شنب غازان"، أو "شام غازان" على مسافة ربع فرسخ إلى الجنوب من تبريز. (إقبال، 2000)

وهي أكبر من مساحة من تبريز حيث توجد أبواب البر التي تحيط حدائقها بالمدينة، واطلق عليها اسم الغازانية، وأمر التجار بالنزول فيها الذين يصلون إليها من الروم والإفرنج، لتفريغ حمولات تجارتهم. (الهمذاني، 2000، إقبال، 2000، بياني، 2013) وأمر بجلب أنواع الأشجار المثمرة والرياحين والحبوب التي لم تكن في تبريز ولم يرها أحد هناك مطلقاً، وقد طعموا فسانلها وفروعها، وأحضروا بذورها، واشتغلوا بغيرسها وإنمائها في تبريز. (الهمذاني، 2000)

وأمر بأن تكون المكوس في المدينة الجديدة هي نفسها السارية في تبريز حتى لا يقع أي اختلاف، وبنيت على كل بوابة من البوابات الجديدة في تبريز خان كبير وأربع أسواق وحمام ومصانع وأصطبل للدواب حتى يدخل جميع التجار الذين يفدون من مختلف الجهات، كل طائفة منهم من البوابة المخصصة لهم، وينزلون في الرباط، وعلى المشرف على المكوس تسجيل ما معهم من بضائع، وبعد ذلك يدخلون الحمام، ثم يذهبون إلى المدينة لكي يراجع مشرف المكوس ما معهم من احمال ثم يغادرون هذا المكان. (الهمذاني، 2000)

وهذا يؤكد محاولته في توحيد الضرائب في عموم دولته للحيلولة دون الوقوع في الخطأ، ولتحقيق العدالة بين سكان المدن كافة، ولتسهيل عمليات البيع والشراء بين التجار.

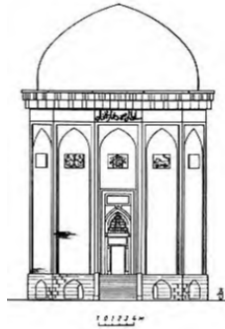
وان هذه الإجراءات تعزز من اقتصاد الدولة وتحميه من الغش والتدليس في البيع والشراء أو في مقدار الضرائب، أو نوعية البضائع وجودتها فضلاً عن حفظ حقوق التجار وصون مستحقاتهم.

وفي سنة 696 هـ / 1296م، وضع الإيلخان غازان أساس قبة عالية وسط حديقة العادلية في موضع شم، وشغف بهذا الأمر كثيراً، وتردد على هذا المكان ليتفقد اعمال البنائين والعمال، وكما رفعوا ببناء سرداب القبة على وجه الأرض سأله المهندسون عن عدد ما ينبغي ان يفتحوا من منافذ للانارة (الهمذاني، 2000)، فسألهم " لماذا؟ فأجابوا كي يكون السرداب منير، فأجاب هو نفسه على هذا السؤال: ينبغي ايصال النور من هنا إلى هناك، والا فلا فائدة للمرء من ضوء الشمس غير الثابت". (الهمذاني، 2000) وان ملاحظة الإيلخان هذه تشير إلى اهتمامه ومتابعته الحثيثة لمراحل البناء، ومواكبته وتواصله مع العمال، وإطلاعه المستمر على سير عملهم، والتزامهم بالعمل وابداء النصائح لهم.

ويبلغ سمك جدرانها ثلاثة وثلاثين طوية متجاوزة يبلغ وزن كل منها عشرة منات أي قرابة 25 كيلوغرام إذ يساوي المن قرابة كيلو غرامين ونصف، وشارك في بنائها 14 ألف عامل، 13 ألف منهم كانوا ثابتين وألف من العمال المؤقتين، ويبلغ ارتفاع القبة 120 ذراعاً وطول جدرانها 80 ذراعاً وشرفاتها عشرة أذرع وقطرها 1530 ذراع، وكان لها 12 ضلعاً نقشت على كل منها صورة برج، وزينت القبة من الداخل والخارج بنقوش وخطوط جميلة ولم يستخدم في طلاء سقفها سوى 300 من من اللازورد، وعُلق في داخل القبة ثمانون قنديل من الذهب والفضة يبلغ وزن كل منها 15 مناً وبلغ وزن أحدها ألف مثقال من الذهب (إقبال، 2000، إقبال، 1990، الأمين، 1993، ولبر، 1989)

الشكل (1):

مخطط هندسي للقبة التي بناها الإيلخان غازان في مدينته شنب غازان. (كار، 2013، مرادى، 2016)



الشكل (2)

البناء النهائي للقبة التي بناها الإيلخان غازان في مدينته الجديدة شنب غازان. (مرادى، 2016)



الشكل (3)

أطلال ضريح الإيلخان غازان وقبته في الوقت الحاضر. (مخلصى، 1980)



وبعد الانتهاء من بنائها أمر غازان بوقف أملاكه الخاصة في كل من إيران والعراق لهذه القبّة وعهد بها إلى خواجه سعد الدين الساجي والهمداني. (إقبال، 200، إقبال، 1990، الأمين، 1993)، ووقف لغيره أوقافاً يعيش من ريعها الصلحاء والزهاد والعباد. (الأمين، 1993)

يدل هذا الأمر على اهتمام الإيلخان غازان الشديد بأعمار هذه القبّة وإنفاق الأموال الطائلة عليها من أجل التفتن بتجميلها منافسة غيرها، وأوقف لها أملاكه الخاصة في إيران والعراق.

فوض غازان وزيره الهمداني ليكون نائباً عنه في إدارة الابنية التي بناها في شنب غازان، وكلفه برئاسة موقوفاتها وكان لهذا المنصب أهمية سياسية واقتصادية وثقافية. (بياني، 2013). وهذا يؤكد ثقته به وبقدراته ومدى إخلاصه للمغول الإيلخانيين جراء خدمته الطويلة لهم.

ومن أهم المباني التي بنيت حول القبّة:

المسجد الجامع، المدرسة الشافعية، المدرسة الحنفية، خانقاه للمتصوفة، دار السيادة لإقامة الأشراف، مرصد، مستشفى، دار الكتب، دار القانون لحفظ الدفاتر والقوانين التي اصدرها غازان لحفظ السجلات القانونية، دار المتولى حيث تم تكليف متول لتنظيم شؤون الناس وإقامتهم، حكمتية لإقامة الحكماء وتعليم الحكمة، بستان وقصر العادلية، وحمام. (إقبال، 200، إقبال، 1993، ولبر، 1985، الأمين، 1993)، فضلاً عن دار للأيتام ودار للقران والحديث. (الرفيعی، 2009، Sykes, 1969)

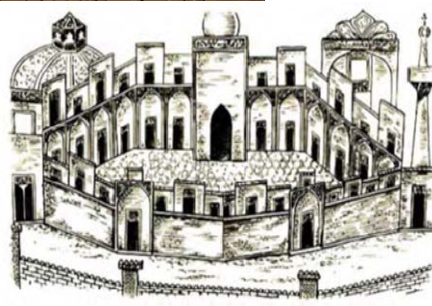
وعين غازان عدداً من حفظة القرآن لخدمة مقبرته ودار السيادة والخانقاه والحمام، وعدداً من إمناء المكتبات لدار الكتب ومعلمين للمدرستين والحكمتية والمرصد، وأطباء وكحالين للمستشفى وأجرى لهم رواتب ثابتة على أن يواظبوا على أعمالهم، وأمر بتقديم الطعام للفقراء والمساكين في الخانقاه ليل نهار وأن يجتمع المتصوفة مرتين في الشهر لإقامة حلقات الذكر. (إقبال، 2000، الأمين، 1993)

أراد الإيلخان غازان أن يترك أثراً كبيراً في نفوس المسلمين ليس في إيلخانية المغول فحسب بل في جميع انحاء العالم، تأكيداً منه على صدق اسلامه وايمانه، ولأدراكه بأهمية هذه المؤسسات التعليمية والتثقيفية، فضلاً عن أهميتها الدينية والاجتماعية.

ودفن الإيلخان غازان في ضريحه الذي بناه في مدينة شنب غازان "شام غازان". (البناتكي، 2007، إقبال، 2000، إقبال، 1993)، وما زال هذا المكان ظاهراً حتى الآن بما بقي من بقايا الأبنية المتخلفة من مقبرته المحطمة. (ولبر، 1985)

الشكل (4):

مدينة شنب غازان وأبنيتها وتتوسطها قبة ضريح الإيلخان غازان. (مرادى، 2016)



الأوقاف

بلغت عوائد الأوقاف التي وقفها غازان على الأبنية المذكورة مئة تومان مغولي في السنة، ونظم عملية تسليم هذه العوائد وعهد بإدارتها إلى اثنين من كبار أمرائه هما قورتيemor وترنغاي. (إقبال، 2000، الأمين، 1993)

وأهم ما جاء في وصية غازان: وقد قطع بصحتها جميع المفتين وثقات العلماء الكبار وقضاة الإسلام. ثم أمر بكتابة سبع نسخ من تلك الوقفية، وتسجيلها كلها؛ إذ تكون واحدة منها في يد المتولي والثانية في الكعبة والثالثة في دار القضاء بدار الملك تبريز والرابعة في دار القضاء بمدينة السلام بغداد. أما الخامسة والسادسة والسابعة فتحفظ في السجلات. وبعد كل مدة بجدد الشهادة عليها قضاة بغداد وتبريز. وعلى كل قاض ينقلد منصب القضاء أن يبادر بتسجيلها فور جلوسه على مسند القضاء. ثم أمر بأن يسكن ويتوطن أبواب البر المذكورة الجماعة الذين هم أفضل وأكمل أهل العصر، وأن يظلوا ملازمين لها". (الهمداني، 2000)

وان اهتمام الإيلخان بوقفية هذه يدل على حرصه على عدم ضياعها أو تلفها، وربما أراد أن يبعد عنها يد عدد من المغرضين والمعادين له، مراعيًا بذلك مصالح الجميع وحفظ حقوقهم، كما انه اراد ان يضيف عليه شيء من القدسية والشريفة فأحتفظ بنسخة منها في الكعبة المشرفة ويبد عدد ممن يثق بهم.

حدد غازان اهم نفقات البر والخيرات التي تعد من اهم ملحقاتها وهي كما اشار اليها الهمداني بالتفصيل. (الهمداني، 2000)

1- تجهيز القبة العالية بالفرش والشمع المذاب والعطر، وتهيئة الحلوى في ليالي الجمع باسم الحفاظ ومرتببات المرتزقة من الحفاظ والعمال.

2- تجهيز المسجد الجامع بالفرش والشمع المذاب والعطر، ومرتببات المرتزقة من الخطباء والأئمة والوعاظ والمؤذنين

والمكبرين والعمال.

- 3- تجهيز مدارس الشافعية والحنفية بالفرش ونفقات الإضاءة والعطر، والمعدات الخزفية وغيرها. ومرتبات المرتزقة من المدرسين والمعVIDين والفقهاء والعلماء.
- 4- تجهيز الخانقاه بالفرش والتخطيط، وأدوات المطبخ، ونفقات الإضاءة والعطر وطعام الإطار والعشاء، والحفلات العامة بواقع مرتين في الشهر.
- 5- صرف جريات المرتزقة من المشايخ والأئمة والمتصوفة والمنشدين والخدم وأصناف العمال الآخرين، وتوزيع الصدقات المخصصة للفقراء والمساكين لسداد ثمن الكرباس والأحذية وفراء الأكتاف.
- 6- تجهيز دار السيادة بالفرش والشمع المذاب والعطر والمعاشات وأرزاق السادة من النقباء المقيمين هناك، والسادات القادمين والذاهبين.
- 7- صرف مرتب المشرف الذي يقوم بمهمات دار السيادة، والذي يؤدي الخدمة للسادات بمقتضى شرط الواقف. ومرتبات الخدم والطهاة والعمال الآخرين الذين يقيمون هناك.
- 8- تجهيز المرصد بفرش والشمع المذاب والبذور والعطر، وتوفير مرتبات المرتزقة من مدرسي العلوم الدينية والمعVIDين والمتعلمين والخزنة والمناولين وسائر العمال.
- 9- إصلاح وترميم الآلات وأدوات الساعات والمرصد، وتلك التي تصلح للاستعمال.
- 10- تجهيز دار الشفاء بالفرش والشمع المذاب والبذور والعطر والآلات الخزفية، وتوفير الأدوية والأشربة والمعالجين والمرامح والكحل والحساء الخفيف وثياب النوم وملابس المرضى.
- 11- توفير مرتبات المرتزقة من الأطباء والكحالين والجراحين والخزنة والخدم وسائر العمال.
- 12- تجهيز دار الكتب بالفرش والشمع المذاب، وإصلاح الكتب وترميمها، وسداد ثمن الكتب الضرورية.
- 13- تجهيز دار القضاء بالفرش والشمع المذاب، وتوفير نفقات إعداد القوانين ونسخها وتجديدها.
- 14- تخصيص راتب لبيت المتولى ولأحد البوابين حسب ما هو مقرر.
- 15- تجهيز دورة المياه بالشمع المذاب والبذور والعطر والأباريق والجرار والأباريق والدنان والأكواز. وتوفير جريات مخصصة لفرش واحد قائم بالخدمة.
- 16- تجهيز حمام السبيل بالمآزر والدلاء والعطر والمصابيح والمساحات والمجارف والحطب ووقود وموقد الحمام، وتوفير جريات للعمال من الحمامى والدلاك وحارس الملابس والوقاد.
- 17- ما يذكر من ملحقات وتوابع أبواب البر الطعام الخارجى فى جوسق العادلية الذي يقدم إلى أمراء المغول والتازيك والأشخاص الذين يجيئون إلى هناك إذ إنهم عند زيارتهم يقصدون ذلك الجوسق، ويأكلون هذا الطعام، وما يحتاج إليه الطعام الذي يصرف كل يوم، وتجهيزها بالفرش وأدوات المطبخ ولوازم دار الشراب والشمع المذاب، والولائم التي يقيمها الواقف شكر الله سعيه، كل سنة فى اليوم الذي يحدده بشرط أن يجتمع المجاورون فى البقاع المذكورة والأئمة والأعيان والمستحقون فى تبريز وغيرهم ممن يجيئون إلى هنا ويختمون القرآن ويتناولون الطعام ويعطون الصدقات المخصصة لذلك اليوم.
- 18- صرف جريات العمال من الطهاة والمتعدين بشراء ما يحتاج إليه، والسقاة والخزنة وبقية فئات العمال هناك، وتوزيع الطعام المذكور الذي يصرف فى هذا اليوم صدقات على الفقراء.
- 19- توفير الحلوى التي تقدم فى ليالى الجمعة يرسم أهل المسجد والخانقاه والمدارس وملاجئ الأيتام، بالإضافة إلى ما تعين صرفه على حدة فى القبة العالية بمقتضى التفصيلات المنصوص عليها فى السجل.
- 20- صرف نفقات العيدين والأيام والليالي المباركة من عاشوراء وليلة القدر وغيرها مدرسة الأيتام البالغ عددهم دائماً مائة يتيم يدرس لهم القرآن
- 21- وجوه الإنفاق السنوية، وتوزيع العيدية لمائة طفل يكونون قد حفظوا القرآن الكريم، ويعملون بالسنة، ثم يحضرون بدلاً منهم أشخاصاً آخرين، وتوزع هدايا مائة مصحف جديد تشتري كل سنة.
- 22- توفير مرتبات لخمسة معلمين وخمسة رقباء يلازمون الأطفال، وخمس من النسوة يقمن على رعايتهم، وتجهيز هم بالفرش وإعداد المكتب، وما تدعو الحاجة إليه.
- 23- شراء الفين من فراء الكتف المصنوع من فرو الخروف وذلك كل سنة، وتقديمها إلى المستحقين.

- 24- الإشراف على تربية الأطفال اللقطاء الذين يلقي بهم في الطريق، فهؤلاء يؤخذون وتدفع أجور المرضعات وما يحتجن إليه حتى يبلغ هؤلاء الأطفال سن الرشد.
- 25- تجهيز الغرباء ودفنهم الذين يموتون في تبريز، ولم يكونوا يملكون تركة تقي بدينهم.
- 26- توفير الحبوب التي تلتقطها أنواع الطيور في أشهر الشتاء الستة عندما تشتد البرودة وينزل الثلج، فينثر القمح والجاوس (الدخن) مناصفة على الأسطح ولايصطاد أحد هذه الطيور. وكل من يقصدها بسوء، تحل عليه لعنة الحق تعالَى وسخطه. وعلى المتولى وسكان تلك البقاع أن يمنعو المعتدين ويردعوهم، والا يكونوا آثمين.
- 27- توزيع القطن للأرامل الفقيرات اللاتي يصرف لهن كل سنة، ليكون رأس مال لهن؛ على أن تمنح كل واحدة من الأرامل البالغ عددهن خمسمائة أرملة، أربعة أمنان من القطن المحلوج.
- 28- تعويض الأواني الفخارية التي يكسرها الغلمان والجواري والأطفال فينصب متول أمين في مدينة تبريز، حتى إذا ما أردت تلك الفئة نقل الماء، وانكسرت أو انهم، وبخشون عقاب ساداتهم؛ فإن ذلك المتولى يعوضهم عنها بعد أن يتحرى الحقيقة.
- 29- بخصوص تنظيف الطرق من الأحجار، وإقامة القناطر على النهيرات ابتداءً من مدينة تبريز إلى مسافة ثمانية فراسخ من المناطق والجوانب المحيطة بها وذلك على النحو المفصل في السجل.
- 30- توفير مرتبات النواب وعمال ديوان أوقاف البر المذكورة والمسماة "الأوقاف الخاصة" وذلك بموجب شرط الواقف خارج أعمال الولايات والمواضع.
- 31- تخصيص نفقات عمارة القبة العالية وأبواب البر بأضلاعها الاثنتي عشرة، وكذلك جوسق العادلية الذي أنشأه أرغون خان بموجب شروط الواقف المنصوص عليها في الوقفية المباركة.
- 32- تخصيص نفقات عمارة أملاك الأوقاف، والتي أسدل زرعها من الضياع، والعقار والأراضي المستغلة المتعلقة بأبواب البر المذكورة في كل ولايات الممالك، حيثما وجد شيء منها بمقتضى شرط الواقف.
- ان هذه الشروط الدقيقة التي أمر بها الإيلخان غازان تدل على متابعته ومراعاته فئات المجتمع جميعها في حياته واوصى بضرورة الاستمرار على ذلك بعد مماته، اذ لم يترك شاردة أو واردة لم يشر إليها مراعي الصغير قبل الكبير، والمرأة قبل الرجل، فضلاً عن تكبده على مراعاة اليتامى والفقراء، واكد على توفير مرتبات ومستحقات الجميع دون استثناء، وأشار إلى ضرورة الاهتمام بالبناء والعمران وتوفير مستلزماتها جميعها.

الخاتمة:

توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج أهمها:

- 1- اهتم المغول الإيلخانيين بالبناء والعمران على الرغم من اعتناق عدد منهم الإسلام، مثل: الإيلخان أرغون الذي بنى مدينة أطلق عليها اسمه، فضلاً عن بنائه للمخيمات وعدد من القصور الفخمة، وذلك لتخليد اسمه، ولتأثره بالشعوب المتحضرة.
- 2- سار الإيلخان غازان على نهج من سبقه في اهتمامه بالعمران والبناء ولاسيما بعد اعتنقه الإسلام وأعلنه الدين الرسمي لدولته في بلاد فارس، فشيّد مدينة أطلق عليها اسم شنب غازتن أو شام غازان، بنى فيها معالم عمرانية عدة مثل: الأسواق والحمامات، والمدارس، والمساجد، والخانقاهات وغيرها من المؤسسات الخدمية والتعليمية، فضلاً عن مقبرة ضخمة له.
- 3- اهتم الإيلخان غازان بتطبيق النظم الإدارية والاقتصادية في مدينة شنب غازان كما هو معمول به في تبريز مراعيًا بذلك الصالح العام والمستوى المعاشي للسكان، ولتسهيل امور التجارة والتجار القادمين إليها من الدول جميعها، دون أن يواجهوا أي معوقات أو صعوبات تعرقل عملية التبادل التجاري أو عقد الصفقات التجارية.
- 4- أوقف الإيلخان غازان أوقاف كثيرة على مقبرته ووضع لها شروطاً صارمة من اجل تنفيذها بدقة، من حيث توفير الطعام والماء والخدمات للجميع، وصرف الرواتب والمخصصات للمستحقين، وتجهيز المدارس والمدارس والمؤسسات الأخرى بكل ما تحتاجه من مستلزمات، ومراعاة حقوق الأرامل واليتامى والفقراء وغيرهم.
- 5- أمر الإيلخان غازان بحفظ وقفية في أماكن متفرقة وحيوية واختار أن تحفظ النسخة الأولى في الكعبة المشرفة لاضفاء نوع من القدسية والهبة عليها، وللتأكيد على أهميتها، وحرص على تنفيذها بدقة من خلال اختيار عدد من الأشخاص ممن يثق بهم للقيام بهذه المهمة، أراد غازان أن يحفظ وقفية من التروير والضياع أو التلف، أو ممن يحاولون تزويرها أو التلاعب بينودها.

المصادر والمراجع

- إقبال، ع، (2000)، تاريخ المغول منذ حملة جنكيزخان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة: عبد الوهاب علوب، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ص305وص306وص546وص298وص299.
- إقبال، ع، (1993)، تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (205هـ - 820م/1343هـ - 1925م) نقله عن الفارسية: د. محمد علاء الدين منصور راجعه: أ. د السباعي محمد السباعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ص341وص475.
- الأمين، ح، (1993)، المغول بين الوثنية والنصرانية والإسلام، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ص337، ص338، ص339، ص341.
- بياني، ش، (2013)، المغول التركيبية الدينية والسياسية، ترجمه عن الفارسية: سيف علي، راجعه وقدم له: د.نصير الكعبي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الناشر المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، ص339وص342وص360.
- البنكاتي، د، (2007)، روضة أولي الألباب في معرفة التواريخ والانساب، ترجمة وتقديم: محمود عبد الكريم علي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، ص497.
- الخالدي، أ، (1982)، المغول والدعوة الإسلامية في القرنين السابع والثامن الهجريين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية المعهد العالي للدعوة الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ص246وص247.
- الرفيعي، ع، (2000)، العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية، بلا م، ط2، ص158.
- السنيدي، ع، (2014)، أعمال حكام المغول الخيرية في الحرمين الشريفين خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين /الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، مجلة العلوم العربية والإسلامية، جامعة القصيم، السعودية، المجلد 7، العدد 2، ص1وص2وص3.
- الهمذاني، ر، (د.ت)، جامع التواريخ، ترجمة: محمد صادق نشأت، محمد موسى هندواوي وفؤاد عبد المعطي الصياد، راجعه وقدم له: يحيى الخشاب، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، ص166.
- الهمذاني، ر، (2000)، جامع التواريخ، غازان، دراسة، وترجمة: د. فؤاد عبد المعطي الصياد، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، دار النصر للطباعة الإسلامية، القاهرة، ط1، ص149وص239وص240وص241وص242وص244وص251وص315وص316وص317وص363.
- ولبر، د، (1985)، إيران ماضيها وحاضرها، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، ص68.
- البحوث الفارسية المنشورة في الدوريات الفارسية غير المعربة:
- كار، ع، (2013)، سازمان فضايى شهرهاى أبواب البر دوره ايلخانى، مطالعات معماري ايران، دو فصلنامه معماري ايرانى، شماره 2، پاييزومستان 91، ايران، Vol. 1، ص49
- مخلص، م، (1980)، شهر بسطام ومجموعة تاريخي آن، مجله أثر، تابستانوپاييزومشماره 1و2 و3و4، زمستان 1359، ايران، Vol 1، ص232.
- مرادى، أ، (2016)، بازشناسى فرم معماري: آرامگاه «غازان» در مجموعه أبواب البري غازانيهونقش آن در روند تحولات شهرسازى ايرانى، مجله باغ نظر، مجله علمى پژوهشى پژوهشكده هنر، معماريوشهرسازى نظر، سال سيزدهم، شماره 42، آذار، 1395، ايران، Vol.13، ص37وص38وص41.

*المراجع الإنجليزية غير المعربة:

-Sykes,p,(1969), History of Persia, ,Routledge and Kegan Paul, London, Third edition, p.114

The Manifestations of Urbanism During the Mongols the Ilkhanites (683-703/1284-1304)

*Suaad Hadi Hassan Al-Taai**

ABSTRACT

Despite the violence in the history of the Mongols in the beginning of their appearance in the political arena and because of their preoccupation with their military campaigns and building the nucleus of their vast empire, they have not lost sight of the vocabulary of civilization, construction and urbanism and this is not coming between the night and its parts ,but it resulted from their mixing with the civilized and cultured peoples that were under their authority and in fact I see that the Mongols were the ones who underwent these peoples and they merged with them and contributed to the establishment of a sound foundation for the construction of a new civilization in its administrative and political institutions where a mixture of the Efficient elements in the development of cultural and administrative touches in every part of their state.

The Mongol Alkhananat is interested in the arts of architecture and construction and the Ilkhan Argun (683-690AH/1284-1291) and El Khan Gazan (694-703AH/1295-1304) in front of them as well as the construction of squares, resorts, schools, hospitals, mosques, markets, etc.

Keywords: Argun, Gazan, Shanab Gazan, Endowments, Al Gazani river.

* Department of History, Baghdad University. Received on 11/2/2019 and Accepted for Publication on 17/7/2019.